

تاريخ القبول: 2023/04/04

تاريخ الإرسال: 2022/01/30

تاريخ النشر: 2023/06/03

الإسهامات العلمية للمرأة النيجيرية (نانا أسماء نموذجاً)
Scientific contributions of Nigerian women (Nana Asmaa as a model)

هابة خديجة¹

جامعة تمنراست (الجزائر) ، habba.khd@univ-tam.dz

الملخص:

تتمحور هذه الورقة البحثية حول شخصية عالمة نانا أسماء بنت عثمان بن فودي ، وهي إحدى نساء العائلة الفودية المميزة التي برزت في بلاد السودان ، و تحدثت خلال هذه الدراسة عن الظروف التي ترعرعت فيها نانا أسماء ، وأشرت لأهم المحطات في حياتها ثم ركزت على نشاطها التعليمي و آلياته ، وأبرز مؤلفاتها وختمت بالحديث عن وفاتها ومكانتها في نيجيريا .

و الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على مساهماتها الفعالة في بث الثقافة والتعليم في مجتمعها ، بالتركيز على تعليم المرأة و تثقيفها بوسائل مبتكرة ومن خلال ما حققته من نجاحات في هذا المجال ، باتت نانا أسماء رمز للثقافة في نيجيريا و قدوة للتغيير في مجتمعها .

الكلمات المفتاحية: نانا أسماء ، سوكتو ، المرأة الفودية ، نيجيريا

Abstract :

The subject of this research paper is the character of Nana Asmaa , daughter of Usman bin Fodi, one of the distinguished women of the Fadiah family that appeared in the Sudan region ,

In this study, I talked about the living conditions of Nana Asma , I also spoke about the stages of her life, her educational activity, its characteristics, And the most important of her writings , in conclusion, I spoke about her death and the importance of this woman in Nigeria.

The aim of this study is to identify her great contributions in spreading culture and education in her community, as she used innovative methods to educate women, and through them , she succeeded in this field, and Nana Asma became a symbol of culture in Nigeria and a role model to influence in her community.

Keywords: Nana Asma , Sokoto , Void women , Nigeria

المؤلف المرسل: هابة خديجة ، الإيميل : HABBA.KHD@UNIV-TAM.DZ

1. مقدمة:

عملت المرأة في مجتمع سوكوتو الإسلامي في العديد من الأنشطة الاقتصادية كالزراعة والتجارة ، وأثبتت نجاحها وبراعتها في الجانب العلمي والثقافي، حيث برزت بنات عثمان بن فودي مؤسس خلافة سوكوتو كرائدات في العلم والثقافة وعلى رأسهم العالمة نانا أسماء التي كانت نموذج للتميز والعبقرية ، فمن هي نانا أسماء ؟ وكيف نشأت ؟ و ما هو دورها التعليمي في مملكة سوكوتو الإسلامية ؟ وما هي أهم مؤلفاتها ؟ وهدفنا من هذه الدراسة هو إبراز مدى مساهمة العالمة نانا أسماء في صناعة مجتمع متعلم مشبع بالثقافة العربية الإسلامية في شمال نيجيريا ، و اتبعت خلال هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي والوصفي .

2. ظروف نشأة العالمة نانا أسماء¹ :

عاشت نانا أسماء في الظروف تميزت بأوضاع سياسية مضطربة و بيئة علمية وثقافية متميزة، فمن الناحية السياسية شهدت نيجيريا نهاية القرن 18 م ،حركة الجهاد التي قادها الشيخ عثمان دان فودي(1754- 1817)² ، الذي أعلن جهاده ضد الوثنية بالمنطقة في محاولة منه لإصلاح المجتمع الذي كانت تشوبه العديد من مظاهر الحياة الوثنية رغم كونه مجتمعا إسلاميا ، فالإسلام بقي به سطحيا إلى حد ما، بل ومخلوط بالوثنية³ وهذا الأمر جعل الشيخ عثمان ينتقض في محاولة منه لإصلاح هذا المجتمع وتجديد الدين به فواجه سلاطين الهوسا الوثنيين⁴ في منطقة غوبير مثل السلطان "نافات" وابنه "ينيف" اللذان منعا النساء من الحجاب والرجال من لبس العمامة ،ومنع السلطان نافات الناس من الدخول في الإسلام⁵ ،وكان السلطان ينيف أشد من والده طغيانا ، بحيث طلب من الشيخ عثمان وعائلته الخروج من أرض غوبير، فهاجر وأتباعه⁶ ، لكن كان عليه أن يواجه هؤلاء الحكام لتحقيق غايته ، لذلك شن حركته الجهادية ضد الوثنيين ووضع خطته الإصلاحية التي استهدفت جل فئات مجتمع سوكونو،ولم يستثن في ذلك المرأة، وجمع العديد من الأتباع من طلبته وأصدقاءه وجيرانه وزوجاتهم وبناتهم ، وكون بناته لتحملن عن عاتقه مهمة تعليم المرأة السوكوتية⁷ ، وبناء على ذلك ركز الشيخ عثمان على قضية تعليم النساء علوم الدين والدنيا وأورد ذلك في مؤلفاته مثل كتاب " تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ المجلس لأجل تعليم النسوان"⁸

وفعلا نجح الشيخ عثمان في حركته وتمكن من تأسيس خلافة سوكونو الإسلامية⁹ التي بلغت فيها الثقافة الإسلامية العربية مبلغ كبير،حيث ظهر بها الكثير من العلماء الأفذاذ الذين تركوا تراث قيم من المخطوطات والكتب العلمية و الدينية الهامة ، فالشيخ عثمان بن فودي تمكن من تكوين عدد كبير من العلماء والمتقنين حوله من أصحابه ورفقائه وبناته وأبناءه ، ومن العديد من أقرباءه بنيينا وبنات رجالا

ونساء ، حيث غرس فيهم الحكمة وحب العلم (التعلم والتعليم والتأليف)، وفي هذا الجو المغمور بالعلم والثقافة ، نشأت و ترعرعت نانا في بيئة مكتظة بالعلماء (الفقهاء ،اللغويين والأدباء) في بيت توارث أفراد العلم أبا عن جد في بيت عرف أفراد بالذكاء وغزارة المعرفة في مختلف العلوم (العقلية و النقلية)¹⁰، نشأت نانا في بيت لم يكن للكسل فيه مكان حيث كان مبدأهم الأساسي الالتزام والصرامة والاستقامة والتقيد بالتعاليم الدينية ، حيث كان كل فرد من الأسرة لديه ما يفعله كبرنامج خاص ويومي¹¹ ، وهكذا نشأت أسماء في أسرة تهتم بالعلم والدين اهتماما كبيرا ، وعاشت حياة علمية حيث أحاط بها العلماء أباء وأجداد وإخوة وأقارب فأخذت العلم و الأدب عن أصحاب البراعة و البيان كوالدها وزوجاته حواء وعائشة الملقبة بغبطو وأخوها محمد بيلو وأختها خديجة وزوجها وغيرهم¹² ، وهذا ما أثر في شخصيتها فكانت خير خلف لخير سلف .

وبعد وفاة الشيخ عثمان تولى الخلافة ابنه محمد بيلو الذي كان كوالده يهتم بوضع النساء في مملكته ، وقد قدم لهن النصائح والتوجيهات من خلال مؤلفاته مثل مؤلفه " النصيحة الوديعه " الذي دعاهن من خلاله للالتزام بالقيم الأخلاقية والروحية والاهتمام بتكوين أبنائها وحذرهن من الملذات والشهوات ، وحماية ممتلكات أزواجهن¹³ .

وهكذا عاشت نانا في بيت آل فودي في كنف والدها، حيث كانت من النساء المحظوظات اللاتي قدر لهن أن يولدن في بيوت العلماء ، وهو ما ساهم في صناعة شخصيتها لكنها كإنسانة معطاءه أبته إلا أن تمنح علمها وتبلغ ثقافتها إلى ما استطاعت إليه سبيلا من نساء نيجيريا واتخذت في سبيل ذلك طرقا وآليات شتى .

3. التعريف بشخصية العالمة نانا أسماء بنت عثمان بن فودي :

ولدت عالمة نانا أسماء في 1793م بمنطقة دغل (طغل)¹⁴ التابعة لغويبر الواقعة شمال غرب نيجيريا في فترة الإصلاح وزمن الجهاد الذي أعلنه والدها عثمان بن فودي¹⁵ ، عاشت بين أربع عشر أخ منهم (مريم وفاطمة ، خديجة ، محمد بيلو ، أبو بكر العتيق ...) ¹⁶ ولدت مع أخ توأم اسمه الحسن لكنه توفي ، حيث كان الجميع يتوقع أن يسميها والدها حسنى أو حسينة باسم يناظر اسم توأمها لكنه سماها أسماء تيمنا بالصحابية الجليلة أسماء بنت أبو بكر الصديق ، أمها السيدة ميمونة أولى زوجات الشيخ عثمان ،وقد توفيت وعمر أسماء عامين فربتها زوجة والدها حواء¹⁷.

استفادت نانا أسماء من علم والدها الذي غرس في نفسها الفطنة والذكاء والحكمة حيث كانت تحضر حلقات طلاب العلم عند والدها بغض النظر عن سنهم أو جنسهم ، فاستفادت من تعليم مكثف ، وتحصلت على تعليم ممتاز منذ صغرها حيث درسها والدها وعمها عبد الله و زوجة والدها حواء و أخوها محمد بيلو وغيرهم ، بدأت الدراسة منذ سن الخامسة تعلمت الحروف العربية ، حيث كانت تدرس على اللوح الخشبي مع أقرانها في المنزل صباحا ومساء ، وعندما بلغت عشرة سنوات حفظت القرآن كاملا و تمكنت من القراءة و الكتابة وبعدها انتقلت إلى المستوى الأعلى حيث درست العلوم الإسلامية من تجويد و أصول الفقه تابعت عالمة نانا أسماء تعلمها مستفيدة من مكتبة والدها الكبيرة ، درست نانا الشعر وحفظت الكثير من الأشعار والنصوص العربية الفصحى ، وفي نفس الوقت كانت تدرس القواعد ،وبصفة عامة لقد تعلمت كل الكلاسيكيات الإسلامية ، كانت تجيد أربع لغات: العربية ، واللغة الفولانية ، والهوسا ، و الطارقية ، وقد كتبت الشعر واشتهرت في زمنها بقصائدها، حيث كانت مؤلفة بارعة وقد تواصلت مع علماء عصرها في بلاد السودان مثل العلامة عمر الفوتي الذي زارها في دارها بغرض التبرك أثناء زيارته

الثانية لسوكوتو وهو عائد من الحج متجها لبلاده ، وبرتت العالمية نانا أسماء كذلك في الأعمال المنزلية كإعداد الطعام والغزل وصنع الصابون وتصفيف الشعر وكانت قادرة على كسب لقمة العيش من خلال حرفة غزل خيوط النسيج حيث احتكرت الصناعة وأنشأت سوق قرب منزلها¹⁸.

عرفت نانا أسماء بكونها أول امرأة عالمية في عصرها وفي منطقتها وتعتبر من رواد الأدب في العصر الحديث في نيجيريا¹⁹ ، والجدير بالذكر أن نانا أسماء لقبت باسم (ساركين ماتا دوكا) أي ملكة كل النساء من قبل ربات البيوت و لقبت بأُم المؤمنين عند عامة النساء وعرفت بالشيخة والعالمية²⁰ ، ركزت نانا أسماء في حياتها على التعليم فكانت معلمة مشهورة و كاتبة غزيرة الإنتاج وكانت أيضا شاهد عيان على معارك والدها وأخوها فترة الجهاد .

تزوجت نانا سنة 1807 م بعمر الرابعة عشر من العلامة " غيطاطو بن ليم (جيدادو) ²¹ gidado dan laima " الذي أصبح مستشارا ووزيرا لآخوها الخليفة محمد بيلو وهو ابن عمر الكمو صديق والدها ، عاشت في بيتها حياة بسيطة خالية من المنافسات التي تنشأ عادة في البيوت التي تتعدد فيها الزوجات حيث تكثر الغيرة والنميمة وكل زوجة تحاول تأمين عاطفة زوجها وتعزيز مصالح أطفالها باستخدام السحر والمكائد للتغلب على المنافسين ، كان لديها ستة أبناء (منهم عبد القادر ، احمد ، عثمان ، عبد الله بايرو) أحسنت نانا تربيتهم وتعليمهم حيث صاروا من أكبر علماء عصرهم وهو ما مكنهم من وراثة منصب والدهم الوزير الأعظم في خلافة سوكوتو ، كان لديهم العديد من المؤلفات على غرار أفراد عائلتهم ، وكان لغيطاطو كذلك واحد وعشرون ابنا من زوجات و محضيات أخريات ، علمت نانا أسماء طلابها أن يكونوا صبورين ومتخلفين وأمرتهم بالنأي بأنفسهم عن المعاصي المحظورة مثل: الكذب والبخل والكراهية والحسد ، وكان لزوجها العلامة غيطاطو بن ليم تأثير

مباشر عليها وكان لها ولأخواتها تأثير كبير على بلاد الهوسا خاصة أنها بنت أكبر شيخ ومجاهد في نيجيريا، وعقيلة وزير من وزراء الدولة الإسلامية في سوكونو²² ، ولما توفي أخوها محمد بيلو كتبت هي وزوجها تاريخ سوكونو، وفي 1850 توفي زوجها فانتقلت إلى منطقة ورنو وهناك قامت بتنظيم منجزات الخلافة وكتبت العديد من المؤلفات المنظومة والمنثورة²³.

4. نشاطها التعليمي في مملكة سوكونو وآلياته :

اشتهرت نانا أسماء بدورها التعليمي في مملكة سوكونو ونذرت بذلك حياتها لتعليم النساء و إعدادهن لتربية الأجيال القادمة وتنقيفها ضمن الإيديولوجية الخاصة بمملكة سوكونو الإسلامية وحركتها الإصلاحية²⁴، فكانت أعمالها موجهة لكل فئات المجتمع دون استثناء من الأميين إلى العلماء كل حسب ما يفهمه ويستوعبه وباللغات المحلية و العربية ، للمسلمين وغير المسلمين فكان هدفها هو تحسين المستوى الثقافي في المجتمع قاطبة ، وتشكيل المجتمع الإسلامي صحيح في فترة ما بعد الجهاد²⁵ ومن أجل تحقيق ذلك سنت آليات جديدة ومستحدثة تستند على عدة ركائز هي :

أولا : تنظيم " يان تارو " (Yan Taru) : ويعني " الأخوات اللاتي تجتمعن

معا " كانت بدايته عندما لاحظت نانا بعد نهاية حروب الجهاد أن هناك الكثير من الأرملة و النساء فقدن كفلاتهن من الرجال ، وكن لا يتقن أي عملا يستزقن منه فبدأت تعمل على تنقيفهن و تعليمهن القراءة والكتابة وأعمالا مختلفة تلطن بها أنفسهن كطحن الحبوب، والنسيج وغيرها، بعد فترة زاد عدد اللواتي يرتدنها من النساء إلى أعداد هائلة، حتى لم تعد تستطع تعليمهن كلهن، فبدأت بتدريب نساء أخريات لتعليمهن ، ثم بعثت بهن إلى جميع أنحاء الخلافة للمدن والأرياف للقضاء على الأمية ، و تعليم القرآن و أصول الدين ثم دربت هؤلاء النساء نساء أخريات حتى تكونت شبكة هائلة من النساء المتعلمات الحافظات المدرسات و أصبحن مثلا

يقتدى به حتى في تعليم الصبيان²⁶، هذه الشبكة النسائية التي تشكلت ، أصبحت تسمى منظمة "يان تارو" ، وهذه الفكرة تعتبر أعظم مساهمة قامت بها أسماء وهي تدل على تطورها الفكري والسياسي فكانت حركة "يان تارو" المبتكرة هي العمود الفقري لفلسفتها التعليمية و إستراتيجيتها الإصلاحية²⁷ وقد تولت نانا رئاستها ،ومن خلالها أصبحت النساء يأتين خصباً لدراسة القرآن و التفسير و الحديث والفقه وغيرها من العلوم الدينية وبعد تفقهن (يصبحن جاجي) و يعدن لبلدانهن للوعظ و الإرشاد²⁸ وتدريب النساء الريفيات وتعليمهن من خلال الحفظ الشفهي للنصوص الدينية ، وبفضل هذا التنظيم أصبح التعليم في متناول الجميع ، واستمرت كذلك حتى بعد وفاتها وإلى يومنا ، حيث أصبح هذا التنظيم عبارة عن جمعية تضم القيادات النسوية من داخل وخارج نيجيريا²⁹.

ثانيا جاجي (Jajis) : هو لقب أطلق على كوادرها أي المرشدات المعلمات المتجولات فبعد أن دربت أسماء أولئك النساء أصبحن معلمات ، ومنهن من سافرن إلى جميع أنحاء الخلافة لتعليم النساء في البيوت خاصة بيوت النساء الفقيرات التي اتخذت كمقرات للتدريس و الوعظ و الإرشاد ، وهكذا تلقت النساء القابعات في البيوت حظهن من التعليم عن طريق شبكة " Yan Taru " أو التدريب لممارسة التعليم و الإرشاد ضمن Jajis و كلاهما عمل مجتمعي كانت الأداة الأساسية فيه هي الكلمة المنطوقة ، وهكذا اعتمدت أسماء على جاجي (المرشدات) ليقمن بالدور التوعوي والتعليمي في المجتمع³⁰ .

كانت كل جاجي تضع قبعة كبيرة تسمى قبعة مالفا Malfa وهي علامة تدل على الانتماء لتنظيم نانا أسماء المستحدث ، وتصنع هذه القبعة من الأعشاب الناعمة الحريرية، في شكل بالون ، وقد كانت هذه القبعة تستخدم سابقا من طرف " إينا " رئيسة النساء المعتقدات بديانة البوري الوثنية في نيجيريا ، فقامت نانا أسماء

باتخاذها كذلك كدلالة ورمزا لأتباعها وعليه تغيرت دلالة قبعة مالفيا من كونها رمزا للبورني ، إلى شعار للإسلام في نيجيريا ³¹ .

ثالثا : المناهج الدراسية : اعتمدت نانا في مناهجها الدراسية على إبداعاتها وأفكارها الشخصية ، حيث ابتكرت أساليب قمة في الروعة لتتمكن من استقطاب المستهدفات من الدراسة لتحقيق أهدافها بسهولة ، فحولت العديد من المواد التعليمية (مثل القواعد ، والفقه و أساسيات التجويد ، الأحكام ...) إلى أشعار ونظم حتى يسهل فهمها وحفظها ، وقامت المدرسات بنشر هذه القصائد بين الجماهير كأدوات تعليمية تستخدم في التدريس المرأة النيجيرية المسلمة التي حفظتها ³² مثل قصيدة "نساء صوفيّات " التي كانت تتحدث عن المرأة المثالية في مجتمع سوكونو ، وهي سلسلة من القصص التاريخية لنساء كانت لهن سمعة جيدة وإنجازات عظيمة ، فكانت القصيدة أحد الأعمال المستخدمة بكثرة في تدريب النساء ومعلمات الإرشاد ³³ ، ومن خلال ذلك اكتسبت نانا شهرة تجاوزت حدود بلادها ³⁴ كما أن تعدد اللغات في أعمال نانا جعلها متاحة لجميع فئات المجتمع بتنوع لغاتها ³⁵ .

5. أثارها :

خلفت نانا أسماء تراثا علميا قيما في مختلف المجالات الدينية ، واللغوية والسياسية والتاريخية وتناولت مواضيع كانت بارزة في مجتمعها على رأسها تعليم المرأة وإدارة شؤون الخلافة ، وفي مجال الأدب العربي واللغة العربية والثقافة ومواضيع للوعظ والإرشاد و الجهاد وقصائد في الشريعة و السياسة و التاريخ و التربية والتعليم ³⁶

كانت مؤلفاتها متنوعة نثرا و شعرا ، وقصائدها حسب المختصين في هذا المجال تبين عبقريتها والفرحة التي جادت بها في هذا المجال وصياغاتها الفنية الرائعة و مهاراتها كانت تثير إعجاب العلماء داخل سوكونو وخارجها، نذكر على

سبيل المثال لا الحصر وزير خلافة سوكتو و العلامة عمر الفتوي و أحمد بن محمد الشنقيطي ، وتجدر الإشارة إلى أنها نظمت قصائد لمختلف الأغراض كالرثاء والمراسلة و المدح و الدعاء ، الوصف الوعظ و الإرشاد ، الغزل ، الزهد ، الشكوى و الحنين ، التوسلات، وشعر المناسبات و الشعر التعليمي و الشعر السياسي ، وألفت في الفقه والسيرة وفي العروض و الطب ، وترجمت لوالدها وحولت بعض الكتب إلى نظم كما أسلفنا الذكر³⁷.

كانت نانا أسماء تقرض الشعر بلغات متعددة باللغة العربية والهوسا والفولانية ورغم أن ما ألفت باللغة العربية كان أكثر من المؤلفات المكتوبة باللغات المحلية إلا أنها بذلك ساهمت مساهمة قيمة في النهوض بالأدب المحلي، ناهيك عن مساهمتها في ازدهار الثقافة الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء ، وبناء على ذلك يذكر أن عدد مؤلفاتها بلغ حسب اختلاف الدارسين بين (66 و 70) مؤلف أو أكثر³⁸ وتجدر الإشارة إلى أن نانا أسماء كانت تستفتى من علماء عصرها في بعض المسائل اللغوية والدينية لغزارة علمها³⁹ و كانت كتاباتها بمثابة الأرشيف المحلي لتاريخ خلافة سوكتو و ومن أبرز أثارها نذكر ما يلي :

1- عن تعليم المرأة : خصصت مخطوط "تنبيه الغافلين" الذي كان من أولى مؤلفاتها ، ألفتها في 1820 وعمرها في العشرينات⁴⁰ و تطرقت فيه إلى أهم قضية شغلت بالها ، وهي تعليم المرأة أمور الدين والدنيا وطرق التدريس ومنهاج محمد بيلو الفكري⁴¹ ، وقد أثار مخطوطها ، "في بداية القرن العشرين، اهتماما علميا من قبل الباحثين الأفارقة وغيرهم ، وكانت مؤلفاتها هي وأخواتها مريم وفاطمة موضع البحث والدراسة لدى الباحثين الأفارقة والأجانب مشيدين في ذلك بالدور البطولي الذي قامت به في المجال الأدبي والسياسي في الخلافة، والمعروف أن أعمال نانا أسماء وأخواتها ركزت أساسا على مسألة تعليم

النساء والبنات وذلك لأن هدفهن الأساسي هو توجيه الدعوة إلى النساء
لاعتناق دين الإسلام ومبادئه بغية تنمية المجتمع⁴².

2- مؤلفات عن القرآن و السنة : منها طريق الحقيقة (godaben gaskiya) بالهوسا ألفتها في 1842 تحتوي نصائح لسلوك الطريق المستقيم المؤدي للجنة وتجنب الخطايا المؤدية إلى اللجيم ، ومؤلف آخر بعنوان علامات يوم القيامة بالهوسا بدون تاريخ تشير فيه للنار، كما ورد في القرآن ،وتقارن فيه بين المعاصي المؤدية للنار وعقوبة عصيان ولي الأمر المؤدية للعقوبة القانونية في الدولة ،وتتحدث فيه عن أهمية الطاعة على جميع المستويات المدنية و الدينية⁴³ و مؤلف تبشير الإخوان بالتوصل بسورة القرآن عند الخالق المنان⁴⁴

3- مراسلات شعرية بين نانا أسماء وبعض العلماء في السودان الغربي
ونورد منها مايلي :

• قصيدة من أسماء إلى معلم أحمد الموريتاني، وهو الحاج أحمد بن محمد الشنقيطي الذي كان يتنقل بين بلاد الهوسا والقاهرة ،وهو ما يدل على وجود اتصالات بين مريدي الطريقة القادرية في موريتانيا ونيجيريا⁴⁵ كتبت نانا هذه القصيدة بإحدى عشر بيتا ، كانت تمدح فيها الشيخ حين مر بمدينة سوكوتو في طريقه للحج وكانت قصيدتها ردا على قصيدة أرسلها لها الممدوح وأبدت فيها نانا سرورها وفرحتها بقدومه ومما جاء في قصيدتها :

واعلم بأننا قد فرحنا غاية * بمرور ركب للأحبة قاصد

لاسيما لأخ نسيب فارع * في العلم ذي قدم رفيع صاعد

قد جاءنا بعمارة من علمه * وبلاغة من نثره وقصائد⁴⁶

4- قصائد الرثاء : معظم قصائد نانا كانت عبارة عن رثاء منها :

- قصيدة رثاء عن عمها عبد الله وفيها تحدثت عن شهرته التي شبهتها بشهرة بنهر النيجر في بلاد السودان .
- قصيدة رثاء لوالدتها أشادت فيها بمناقبها وذكرت أنها قضت حياتها في إعداد الطعام للجنود من جيش عثمان الفودي⁴⁷
- رثت صديقتها عائشة بنت عمر الكمبو صديق والدها و زوجة أخيها محمد بلو بثلاث قصائد منها قصيدة " إلى الله أشكو "⁴⁸ وفيما يلي نورد بيتين منها:
فزادت همومي وانفرادي ووحشتي وسكبُ دموعٍ فوق خدي هواطل
لفهقدي لعائشةَ الكريمةَ يا لَأ من امرأةٍ حازت صنوفَ الفضائل⁴⁹
- 5- الشعر السياسي : كتبت نانا العديد من القصائد التي وثقت من خلالها الأحداث السياسية للفترة التي عاشتها بحيث تناول شعر نانا أسماء موضوعات عديدة من بينها معارك الجهاد وقصائد و كلمات تأبين وهي تُستخدم اليوم كوثائق تاريخية نعرفنا بالوضع السياسي السائد في ذلك الوقت⁵⁰، وكانت لكتابات نانا أسماء تأثير كبير في السودان الغربي خلال القرن 19 ، حيث قدمت ملاحظات صارمة في شعرها السياسي⁵¹ ومنها:
- قصيدتها بالفولانية كتبتها في 1821 " Fa , inna nmaa asur i,asuran" التي كانت موجهة ضد زعيم الطوارق "إبرا " الذي غزا الخلافة
- قصيدة بعنوان دعاء ورجاء النصر من 14 بيت مناسبتها مواجهة بين جيش محمد بيلو و جيش غوبير في منطقة نداي الواقعة جنوب غرب سوكونو وكتبتها سنة 1936 م
- قصيدة دعاء من أجل النصر من 15 بيت باللغة الفولانية كتبتها سنة 1826 أثناء المعارك بين مملكتي بورنو و سوكونو⁵²

6- ترجمت نانا أسماء كتابات الخليفة محمد بيلو إلى الفلندي و الهوسا بعد وفاته وكتبت عن حياة والدها وترجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغة الهوسا وكتبت عن الخلافة سوكتو بمعية زوجها⁵³

6. وفاتها :

بعد مسيرة حافلة بالعطاء توفيت نانا أسماء عن عمر ناهز 71 سنة ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي توفيت فيها بين 1860 و 1864 ، ودفنت في منطقة حبارى إلى جانب والدها ، حضرت جنازتها آلاف من النساء و الرجال سافروا من جميع بقاع الدولة لحضور جنازتها، وبعد وفاتها خلفتها أختها مريم التي واصلت نهجها بعد وفاة زوجها أمير كانو إبراهيم دابو، وما يزال تراثها باقيا إلى اليوم وما تزال النساء في هذه المنطقة تستخدمن أسلوبها في التعليم ، فأعداد لا متناهية من النساء يدينن لها بتمكنهن من القراءة و الكتابة و تعلمهن القرآن و أصول الدين أصبح قبرها في سوكتو من أكثر الأماكن التي يزوره مسلمي نيجيريا⁵⁴

رحلت نانا أسماء وقد ورثت تميزها لأبنائها و أحفادها الذين شكلوا عدد كبير من علماء نيجيريا مثل: الوزير محمد البخاري بن احمد بن غيطاطو ، القاضي يحي النوي بن الوزير إبراهيم بن الوزير عبد القادر بن غيطاطو، وهناك العديد من أحفادها من يحملون شهادة الدكتواء من أشهرهم الوزير سمبو جنيدو ، أمين عابدين ، احمد بلو غيطاطو ، عبد الله البخاري ، والعلامة الأديب الشاعر الوزير جنيد بن الوزير محمد البخاري بن أحمد بن عثمان غيطاطو الذي ألف أكثر من 40 مؤلف في اللغة العربية وجمع المخطوطات ومنحته جامعة أحمد بلو الدكتواء الشرفية في الأدب عام 1981⁵⁵ .

حظيت نانا أسماء وانجازاتها باهتمام كبير من قبل العلماء و الباحثين أفارقة و أوروبيين وحظيت بتقدير الأجيال حيث سميت ما يقارب 60 مؤسسة باسمها من

كليات ومدارس ومستشفيات وجمعيات وكان من آخر التقديرات لها هو أن سميت جامعة الطب في سوكونو باسمها (جامعة نانا أسماء للعلوم الطبية) ، وترجمت أعمالها إلى عدة لغات وتدرس سيرتها في العديد من الجامعات ⁵⁶.

7. الخاتمة :

وفي الأخير نلاحظ أن الظروف التي عاشت فيها نانا أسماء ساهمت بشكل كبير في إبراز شخصيتها خاصة محيطها العائلي المتميز ، فظهرت كعالمة وأديبة وشاعرة و فقيهة وسياسية محنكة ، في وقت ندر أن نتفقد فيه المرأة كل هذه الأدوار ببلاد السودان ،ومن خلال نشاطها التعليمي وتراثها العلمي الكبير، يمكن أن نعتبر نانا أسماء من فطاحل النساء في القارة السمراء ، ومن خلال ما تقدم نستنتج ما يلي:

- استطاعت نانا أسماء من خلال نظامها التعليمي أن تبكر آلية تمكنت من خلالها أن تتفقد المرأة في سوكونو أينما كانت وان تخترق المجتمع ، دون أن تتعدى على التقاليد المحلية فيه فبدلاً من أن تخرج المرأة من بيتها للمؤسسات التعليمية جعلت المؤسسات التعليمية هي من تزور المرأة في بيتها وكان هدفها من تعليم المرأة هو أن تكون فاعلة ومؤثرة في المجتمع .

- استطاعت نانا أن تغير من الصورة النمطية للمرأة- في المجتمعات المسلمة خلال القرن 19 م - التي اقتصررت واجباتها على البيت فقط ، وكانت غير قادرة على المساهمة في المجتمع لكن بعد أن أصبحت تجيد الكتابة و القراءة وبلغت مستوى ثقافي معين باتت تدرك أهمية العلم و التعلم في الحياة ، فباتت حريصة على يواصل أبنائها تعليمهم وأصبحت أسماء وعائلتها النموذج المثالي للمجتمعات لا في نيجيريا فحسب بل في كل بلاد السودان .

- لم يقتصر دور نانا على تعليم المرأة فقط ، بل ساهمت في خلق جيل مستنير عاش جيل بعد جيل إلى الفترة المعاصرة من عائلة غيطاطو ، فكانت نانا

هي البذرة التي أنتجت الكثير من الثمار، والحبة التي أنتجت الكثير من السنابل، وبذلك ساهمت بشكل كبير في صناعة مجتمع ما بعد الجهاد في سوكونو ، وقد شهد بذلك الأوروبيين الذين وصلوا المنطقة في أواخر القرن 19 وبداية القرن 20 وأشادوا بالمستوى الثقافي والحضاري الذي وصلته المناطق التابعة لخلافة سوكونو مثل المستكشف "منغو بارك" الذي زار المنطقة وأعجب بانتشار المدارس و الكتابات لديهم .

- لم تساهم عالمة نانا أسماء في الإنتاج العلمي و الثقافي في سوكونو خلال مرحلة الجهاد فقط ، بل كانت أول امرأة عالمة في زمانها وفي منطقتها و أصبحت بارزة ومتميزة من خلال مؤلفاتها فكانت مفخرة لمنطقتها لذلك سميت العديد من المدارس والمؤسسات العمومية والمنظمات باسمها ، وبقيت من النساء الخالدات في الذاكرة في نيجيريا و في بلاد السودان.

الملحق 1 : مخطوط تنبيه الغافلين (الورقة الأولى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ
 هَذَا تَلْهِيفُ الْعَالِمَةِ الرَّاهِدَةِ الْعَابِدَةِ الصَّالِحَةِ
 آتَمَةً بِسْمِ اللَّهِ بِحَدِّ شَيْخِنَا مُتَّقِيَانِ تَحْمَدُ اللَّهَ
 بِرَحْمَتِهِ وَأَمِينِ الْعَمَدِ لِلدَّعْوَةِ الْعَامِينَ وَالصَّلَاةِ
 وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَا بَعْدَ هَذَا كِتَابِي سَمِيئُهُ تَلْهِيفُ الْعَالَمِينَ
 وَتَذْكِيرُ الْعَالَمِينَ إِلَى طَرِيقِ الصَّالِحِينَ وَتَضَمُّنُهُ
 عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ الْأَوَّلُ ذِكْرُ الْمَيَادِينِ الَّتِي
 بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَالثَّانِي ذِكْرُ الْخِصَالِ الَّتِي
 الْمَفْلُكَاتِ وَالثَّلَاثُ ذِكْرُ الْخِصَالِ الْمُنِجِيَّاتِ
 الْأَرْبَعُ عِلَامَةُ الْإِيمَانِ السُّبُحَةِ الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي الْمَيَادِينِ
 الَّتِي بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَهِيَ تِسْعَةٌ الْأَوَّلُ الْمَوْتُ
 وَهُوَ مَقْدَرٌ كَانَ يُعَسَّرُ قَالَ تَعَالَى كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
 الْمَوْتِ وَإِمَامُ دَوَائِهِ فَمَتَرَكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَتْ الْمَدَقَّةُ
 كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَسْتُ بِمَنْ يَنْفُذُ

شهر

Source : Jean Boyd and Beverly B. Mack , 1997, p502

8. المراجع

- (1) كلمة بالفلانية وتعني بنت ويبدو أن هذا المصطلح ارتبط باسم الفتاة في العديد من المناطق بغرب إفريقيا مثل : اسم نانا ياه اشنتيوا وهي امرأة من قبائل الأشانتي في غانا .
- (2) أسس الشيخ عثمان دولة قوية في شمال نيجيريا خلال القرن 19 م ، وصفه العالم المؤرخ النيجيري (محمد بلو) بقوله: " إنه كان خطيبا بليغا ، وشاعرا فصيحاً فاضلاً ، حسن الخلق ، جميل العشرة كريم الصحبة ، كثير الحياء ، متواضعا ، يرى نفسه كأقل الحشرات ، وقافا عند حدود الشريعة حتى كان أحب الناس إلى أنفسهم يتزاحمون عليه مع طلاقة وحسن خلق وبشاشة ، وجوه عديدة وشخصية واحدة توفي عام 1817 م تقريبا ،

لكنه خلف ذرية كريمة أنجبت الكثير من الرموز الكبيرة في " انظر محمد بلو بن عثمان بن فودي : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، نيجيريا ، ورقة 30

(3) آدم عبد الله الألوري : الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فودي الفولاني ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، لبنان ، 2014 ، ص 145-146 .

(4) نفسه ، ص157،162 ، سنوسي أبو بكر سليمان : مكانة اللغة العربية في دولة صكتو الإسلامية بنيجيريا خلفيات و مستجدات ، مؤتمر اللغة عربية معهد الفنون التطبيقية لولاية صكتو، ولاية صكتو (نيجيريا) ، ذو القعدة 1433 هـ / أكتوبر 2012 م ، ص2.

(5) محمد بلو : المرجع السابق ، ص142 .

Last Murray : **The Sokoto caliphate**, humanities press, New York ,1967, p, 57

(6) آدم عبد الله الألوري: المرجع السابق ، ص153-154 .

(7) محمد خير رمضان يوسف : المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن ، ط2، دار ابن حزم ، بيروت لبنان 2000، ص 97 ، بوبكي سكيعة : الحركة العلمية بالهوسا في السودان الغربي ، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، 2009-2010 ، ص 117-118 .

(8) يهوذا إسحاق محمّد الجمعاري و عثمان الحاج عمر : جهود نانا أسماء، بنت الشيخ عثمان بن محمد بن فودي في نشر الثقافة العربية والإسلامية في خلافة صُكُتُو بنيجيريا ، المجلة الدولية لدراسات غرب آسيا، المجلد 1 ، العدد 1 ، 2017.09.01 ، ص151 .

(9) وردت في المصادر و المراجع بأشكال مختلفة في الكتابة (سكتو ، سكت ، صكتو) وشملت أجزاء من الكاميرون ،وتشاد ،النيجر ،بنين وضمت كل المناطق التي كانت تعرف بولايات الهوسا في شمال نيجيريا وشملت مملكة بورنو في الشرق و بلاد نفي و اليوروبا جنوبا ينظر أبو سليمانو : نساء عربيات رائدات نانا أسماء بنت عثمان بن فودي و إبداعاتها الفنية ، مجلة وميض الفكر للبحوث ، العدد 10 ، 2012 ، ص 48 .

(10) يهوذا إسحاق محمّد الجمعاري و عثمان الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 150 ، بشير مالمى ساعي : فن المديح لدى الشاعرة نانا أسماء بيت عثمان بن فودي : دراسة أدبية لداليتها في مدح الشيخ احمد بن محمد الشنقيطي الموريتاني ، مجلة الدراسات

اللغوية ، العدد 11، ديسمبر ، 2014 ، ص113 ، أبو سليمانو : المرجع السابق ، ص45، 48 ، 59

(11) Madinatu Shehu: **Critics in the Poetry of Nana Asma'u Bnt Fodio: An Overview** Journal Of Humanities And Social Science (IOSR-JHSS) Volume 20, Issue 10, Ver. II ,October, 2015 , P 56

(12) بشر مالمى ساعي : المرجع السابق ، ص115

(13) Tambari Abbas Bashar . **Women Empowerment in the Sokoto Caliphate** International Journal of Research and Innovation in Social Science (IJRISS) |Volume III, Issue IX, September 2019 ,p 15

(14) بلغة الفلفدي تعني المدرسة الكبرى ، انظر أبو سليمانو :المرجع السابق ،ص 50

(15) Madinatu Shehu : op cit, P 56

(16) يهوذا إسحاق الجمعاري و عثمان الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 152-153

(17) بشير مالمى ساعي : المرجع السابق،ص 114 ، أبو سليمانو : المرجع السابق ، ص 49

(18) أبو سليمانو : المرجع السابق ، ص 49 ، يهوذا إسحاق محمّد الجمعاري و عثمان

الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 152-155

Madinatu Shehu : op cit, p56-59

(19) ibid, P 56

(20) ibid , p57

(21) وهو من أكبر علماء عصر بن فودي ، بلغت عدد مؤلفاته أكثر من 40 كتاب ، خلف في منصبه عبد الله بن فودي بعد وفاة الشيخ عثمان انظر أبو سليمانو : المرجع السابق ، ص 50

(22) يهوذا إسحاق محمّد الجمعاري و عثمان الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 152-

155 ، أبو سليمانو : المرجع السابق ، ص 50

Madinatu Shehu: op cit, p57-58

(23) محمد خير رمضان يوسف : المرجع السابق ، ص 98 ، بوبكي سكينه : المرجع

السابق ، ص118

(24) Madinatu Shehu: op cit, P-58

(25) أليس هورنر : أفريقيا جنوب الصحراء؛ منتصف القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين ، تر : عابدة سيف الدولة ، موسوعة النساء والثقافات الإسلامية، طبعة بريل / كانون الثاني 2017 ، ص 285

(26) يهوذا إسحاق الجمعاري و عثمان الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 152-153
(27) Madinatu Shehu: op cit, P-58- 59

(28) بشر مالمى ساعي : المرجع السابق، ص 115
(29) أبو سليمانو : المرجع السابق ، ص 49 ، أليس هورنر: المرجع السابق ، ص 285
(30) Madinatu Shehu: op cit, P-58-59

يهوذا إسحاق محمد الجمعاري و عثمان الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 152-153
(31) Madinatu Shehu: op cit, P-58

(32) ibid, P58 -59

يهوذا إسحاق محمد الجمعاري و عثمان الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 152-153،
أبو سليمانو : المرجع السابق ، ص 49

33 -Beverly Mack : **Muslim women scholars in the nineteenth and twentieth centuries: Morocco to Nigeria (The meanings of Timbuktu)** , chapter 11, HSRC Press, 2008,p 173

(34) يهوذا إسحاق محمد الجمعاري و عثمان الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 151

(35) بشر مالمى ساعي : المرجع السابق، ص 115

(36) محمد خير رمضان يوسف : المرجع السابق ، ص 98

(37) بشر مالمى ساعي : المرجع السابق، ص 128 ، يهوذا إسحاق محمد الجمعاري و عثمان الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 153 ، أبو سليمانو : المرجع السابق ، ص 48-49 ، 59

(38) يهوذا إسحاق محمد الجمعاري و عثمان الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 151

محمد خير رمضان يوسف : المرجع السابق ، ص 98

(39) بشر مالمى ساعي : المرجع السابق، ص 128 ، أبو سليمانو : المرجع السابق ، ص 48-49 ، 59

(40) Jean Boyd and Beverly B. Mack : **Collected Works of Nana Asma'u: Daughter of Usman 'dan Fodiyo (1793-1864)** , Michigan State University Press, 1997,p502

انظر المخطوط الملحق 1 ، أبو سليمان: المرجع السابق ، ص 49 .

(41) Beverly Mack op cit ,p 169

(42) يهوذا إسحاق محمد الجمعاري و عثمان الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 151

(43) Beverly Mack: op cit ,p 169

(44) محمد رمضان يوسف : المرجع السابق ،ص 98

(45) Beverly Mack op cit, p 165

(46) بشر مالمى ساعي : المرجع السابق ،ص 115-120 .

(47) بويكي سكيئة : المرجع السابق ، ص 118-119 نقلا عن علي ايوب ناجي ، ص

135

(48) أبو سليمان : المرجع السابق ، ص 50

(49) يهوذا إسحاق محمد الجمعاري و عثمان الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 154

(50) Madinatu Shehu: op cit, , P-59

(51) ibid , p57-58

(52) محمد خير رمضان يوسف : المرجع السابق ، ص 98-99 ، بويكي سكيئة :

المرجع السابق ، ص 118-119 نقلا عن علي أيوب ناجي ص 135

(53) بشر مالمى ساعي : المرجع السابق ،ص 115

(54) Madinatu Shehu: op cit, P-59

بشر مالمى ساعي : المرجع السابق ،ص 116 ، يهوذا إسحاق محمد الجمعاري و عثمان

الحاج عمر : المرجع السابق ، ص 153-154 ، أبو سليمان : المرجع السابق ،

ص 45، 51

(55) أبو سليمان : نساء عربيات رائدات نانا أسماء بنت عثمان بن فودي و إبداعاتها

الفنية ، المرجع السابق ، ص 45 ، 50 ، أبو سليمان : القيم الجمالية في شعر الوزير

الدكتور جنيد بن محمد البخاري دراسة موضوعية فنية ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية و

العربية ، المجلد 38 ، يونيو 2020 ، ص 1747-1749

(56) أبو سليمانو : نساء عربيات رائدات نانا أسماء بنت عثمان بن فودي و إبداعاتها الفنية ، المرجع السابق ، ص45 ، 50 .